

أرجوكم دعونا نكون توأم!



طفلتان صغيرتان نشأتا في بيتين مختلفين، إحداهما كان نصيبها من العائلة المتبناة الحب والود والاخرى لم يكن إلا العذاب. بعد رحلت بحث طويلة، ظهر سر العائلة العميق.

نشأة الطفلتان على بعد أميال من بعضهما في أحد ضواحي تاين سايد التي تقع في الشمال الشرقي من إنجلترا ، ولكن حياة التوأمين كانت مختلفه تماما عن بعض. جيني سميث كانت هي الأثنى المحبويه لدى عائلتها التي تبنتها عند مولدها فكانت تنعم بالحب والود والأمان العائلي.وأما هيلين لمصن فقد كان حظها تعيس كتعاسة طفولتها فلم يشفق عليها والديها، فكان والدها يعذبها ليل نهار بدون رحمة وأم لاتبالي بها ولا حتى بنفسها. كانت هيلن تعاني نفسيا وجسديا في طفولتها من والديها الذين، بلا شك، خلت من قلبهم الرحمة ولم يكن يحبها أحد سوا أخاها الوحيد وهو الاكبر منها سنا، جورج.

بعد خمس وخمسين سنة، أستمتع مع هيلين وجيني بكوب من القهوة بينما تخراني التوأم بقصتهم الفريدة التي لاحظت فيما بعد بأنها قصة واحد لأنهم بكل تأكيد قد ولدا في يوم واحد من أم واحدة.

لم يكن يوم ميلاد هيلين كما أخبروها من قبل بأنه كان في عام 1950 في الرابع من أبريل، ولكن ظهر فيما بعد أنها وأختها قد ولدا في نفس اليوم وذلك في عام 1948 في الثاني من ديسمبر من أماسمها ميرسيا ديك.تقول هيلين “ أنها أكتشفت أن عمرها أصبح 64 بعدما كان 62 بغمضة عين” وتكمل .. “لقد كنت مخطأة طوال حياتي في قراءة برججي، حيث ظننت أنني من برج الحمل، ولكن أتضح لي أنني من برج القوس”

تبادلت هيلين النظرات مع أختها التوأم وضحكا ، وهناك شي يوحي لك بأن إبتسامتهم تتشابه بشكل كبير جدا في تفاصيلها. تتشارك التوأمين تفاصيل حس الفكاهه بشكل واضح وهو الذي ساعدهم في الإفصاح عن قصتهم التي كانت قصة مؤلة مغطاة بالالم لسنوات طويلة في شبكة من الاوهام والأكاذيب.

ما تعلمه هيلين وأختها جيني هو أن والدتهم، ميرسيا، قد حملت وكان عمرها 28 عاما من علاقه خارج نطاق الزواج من رجل اسمه والفيريد هاريسون. في ذلك الوقت كانت ماريا قد أنجبت ثلاث أطفال (أثنين منهم هبتهم لمن يتبناهم) وكانت تعيش مع رجل يسمى تومي لومصدن. كانت ميرسا وهاريسون يعيشان قصة حب قوية ولكن المستقبل لم يجمعهما سويا. عندما قارب موعد الإنجاب تركت ميرسيا بيتها في شيقهل في نورثمبرلاند واتجهت إلى بيت يكتض بنساء غير متزوجات وأنجبت الطفلتين التوأم هناك.

ظلت ميرسيا ترضع توأمها لمدة 6 أسابيع، حتى قررت العودة إلى حياتها السابقة مع تومي، الذي كان يساعدها في تربية جورج مع أنه لم يكن هو أباه الحقيقي، وهو الذي رفض أن يربي الطفلتين. كانت ظروف الطفلتين صعبة، حتى أتت المرضة التي كان أحد مرضاها امرأة تبلغ من العمر 44 عاما، كوني سميث، والتي كانت تعاني مشاكل صحية ويصعب أن تحمل بأطفال. كانت كوني وزوجها، سيد، يرغبان في طفل ولكن مرض الزوجة حال دون تحقيق الحلم. قالت المرضة لما لا أقنع ميرسيا بحيث تهب أحد الطفلتين إلي كوني؟

هذا الحدث هو الذي شكل حياة الطفلتين ولكن كما تقول جيني “أننا لا يمكننا أن نعلم الحقيقة كاملة لأن أمي فعلت كل شي لتخفي الحقايق” .. “يجب علينا أن نفصل أجزاء القصة سويا، على مدى سنوات”

حتى أصبح عمر جيني 14 عاما، لم تكن تعلم أنها متبناه. طفولة جيني كان جميلة جدا مع موني وسيد، والديها بالتبني، حيث كانا يغمرانها بالحب، كانت تعيش في بيت سعيد في نيوكاسل، وتقضي إجازة الاسبوع على الشاطئ معهم، وكانت تلعب الجولف مع والدها الذي توفى عندما كانت في عمر 12.

بعد سنتين من حادثة وفاة والدها، كانت جيني بصحبة أقرباء لها عندما صرخت أحدهم وقالت لجيني “بأمكانك أن تكوني خارج هذا الأمر لأنك لست حتى جزء من هذه العائلة، أمك التي تعرفينها ليست أمك الحقيقية...”

تقول جيني أنها شعرت وكأن هذا العالم ينهار من تحتها، أكدت والدتها، كوني، حديث قريبتها بأنها بالفعل متبناه ولكنها رفضت الحديث عن أي تفاصيل تتعلق بهذا الأمر. كانت تقنعها أمها أن كل ما يجب أن أتعرفه أن أمها كوني وأباها سيد، ولكن بالنسبة لجيني فقد كانت هذه بداية لرحلة بحث طويلة.

هيلين والتي تبلغ من العمر 14 عاما كان تعيش في حالة تيه من نوع آخر وذلك عندما ذهب أخاها المحبوب إلى قلبها، جورج، للعمل في البحر وتركها تخوض عدوان أبيها عليها لوحدها وحالة الإكتئاب وعدم الرغبة في الأكل التي أصابة والدتها فيما بعد. في ذلك الوقت قررا ميرسيا وتوم الهجرة إلى جنوب أفريقيا وأن تكون هيلين بصحبتهم التي كانت تظن أنها بداية جديدة لمستقبل واعد، ولكن سيطرة والديها عليها والتحكم بها لم يتركها وحيدة حتى بعد أن هاجر هو الآخر زوجها سيمون إلى جنوب أفريقيا.

عندما ولد ابن هيلين الأكبر عام 1970، قرر الزوجان أن يعودان إلى موطنهم الاصلي، انجلترا، ليهربا من تسلط والديهم ولكن منعهم من الرحيل موت توم قبل أن يعودا إلى بدلهم فيما بعد، و قد لحقت بهم ميرسيا التي هربوا منها وعاشت بنفس دارهم.

تسلطت الأم على حياة إبنتها بشكل بشع، حتى تقول هيلين أن "أمي لم تتركني وشأنها، ولم أستطع حتى الفرار منها .." كانت أمي تحب أبنائي جدا، وكأنها كانت فرصتها الثانية لتعوض خطأها الاول (مع هيلين)!"

لقد كان وجود الجدة ميرسيا في البيت مع هيلين وزوجها هو أحد الأسباب الرئيسية لطلاق سيمون من هيلين.

في المقابل، مُنحت جيني حب لعب الجولف من والدها سيد. بعدما تركت جيني المدرسة في عمر 15 حصلت على وظيفة في نادي الجولف المحلي، ولكن عندما رأى صاحب النادي مهارتها في اللعبة، قال من الممكن أن نمنحها المزيد من وقت الفراغ لكي تمارس اللعبة. عندما زار لاعب الجولف المحترف جون جاكوبز النادي ورأها تلعب الجولف، قال "أن هذه الفتاة سوف تلعب بأسم انجلترا يوما ما".

ولقد تحقق ماتوقعه اللاعب المحترف جون عن جيني حيث حققت جيني المركز الاول في بطولة بريطانيا المفتوحة للجولف للنساء في عام 1976 ولعبت بأسم انجلترا في جولات كبيرة قبل أن تصبح لاعبة محترفة. تقول شقيقتها التوأم هيلين أنها سعيدة وفخورة بأن ترى أختها من أوائل النساء البريطانيات اللاتي حققن النجاح في الرياضة في وقت لم تكن لعب الرياضة مهمة سهلة للنساء كما نراها اليوم. سعيدة الآن هيلين بالجوائز التي حصلت عليها أختها الشقيقة التي لم تكن تعلم عنها أي شي في الماضي.

لولا عزيمة جيني على البحث والتحري في أصول عائلتها، لما كان هناك أي نوع من التواصل بين التوأمين.

بدأت قصة البحث عن أصول العائلة عندما قامت جيني في عام 1981 بإستخراج نسخته من شهادة الميلاد الأصلية التي تحتوي أيضا علي عنوان أمها عندما قامت بإنجابها. ذهبت جيني إلى ذلك العنوان ووجدت رجل لا تعرفه الذي أبلغها أنه يتذكر أمها وأن خالتها تعيش بالقرب.

ذهبت جيني لخالتها دوري التي رحبت بدورها بجيني، وهي أول خيوط العائلة التي إستطاعت جيني الوصول له. لم تكن كل الزيارة سعيدة، فعندما هاتفت دوري أختها ميرسيا، أخبرتها "أنها لا تود أن تقابل إبنتها جيني"، لكن أخبرتها الخاله أن لها إخوة، فكانت حسرت جيني كبيرة لأنها لم تعلم عن كل هذا من قبل.

تقاعدت جيني عن العمل كلاعبة محترفة وأصبحت مدربة جولف عندما قابلت زوجها سام، الذي لديها منه ثلاث أبناء أحدهم تبنته من رومانيا. في عام 1998، توفت أمها بالتبني كوني، وهو الحدث الذي حفزها على اللقاء بأمها الحقيقية ميرسيا. تقول جيني: "لم ترفضني أمي (ميرسيا) مرة واحدة، بل مرتين: الأولى عندما تركتني في طفولتي، والثانية عندما أخبرت خالتي دوري أنها لاتود أن تقابلني" ... "رغم ذلك، ميرسيا ماتزال أمي، وهذا هو أهم شي في حياتي"

ذهبت جيني مع زوجها سام وأبنائها إلى ذلك البيت الذي كانت تعلم أن ميرسيا تقطنه، وطرقت الباب. رحبت بها ميرسيا وأخذتها بين أحضانها وقالت لها: "أنها أسفة". قضت جيني وعائلتها بضع ساعات مع الجدة ميرسيا، ولكنها كانت تود أن نرحل في أسرع وقت وكانت تقول أن هيلين قد تأنيفي أي وقت، وأنها لاترغب أن تعلم هيلين بهذا كله. كنت أتمنى أن القى هيلين التي كما أعتقد أنها أخت لي من أم ثانية.

كانت هيلين تعيش في تاكساس في ذلك الوقت عندما زارت أمها وتذكر جيدا ذلك اليوم لأنها أنها كانت تشعر بأن شي ما قد حدث، "لم تكن أُمي بحالة جيدة" .. "عندما استيقظت من النوم رأيتها تحقّق فيني بشكل غريب، ولكن الآن أعلم جيدا أنها كانت ترى كم أشبه أختي جيني.."

توفت ميرسيا عام 2004 وبعد رحلة بحث طويلة أرسلت جيني بريد إلكتروني إلى أختها هيلين تقول فيه: "بعد رحلت بحث طويلة، أعتقد أنك أنت أختي الشقيقة" .. "أسفة، ولكن لا توجد طريقة أخرى لكي أخبرك بذلك"

كانت هيلين تعيش في تاكساس عندما قرأت رسالة أختها، التي سببت لها صدمة عميقة، تقول هيلين أنها لم تكن تعلم أن لديها أخت.. "بالرغم من أنني كنت أتوهم أن لدي أخت في صغيري".

لقد غيرت حياة التوأم للأبد عندما إلتقيا في فندق نيوكاسل في 2007. "كنت كما لو أنني أنظر لنفسي" تقوله جيني. في ذلك الوقت، كانوا يؤمنون بأنهم أخوات من أب مختلف، حتى قررا أن يقوموا بفحص للحمض النووي التي كانت نتائجها إيجابية جدا، بحيث علما من نتائجهم أنهم أخوات شقيقات من أم وأب واحد. بعد عدة تحقيقات، تاكدا لدى جيني وهيلين من تاريخ ميرسيا الطبي الذي يوضح أنه لا توجد أي سجلات طبية تؤكد أن ميرسيا قد أنجبت في عام 1950، وأن هناك ملاحظة في سجلها الطبي عام 1948 كتبت في الهامش كلمة "معقدة"

تقول هيلين أنها تؤمن أن ميرسيا أقنعت من ساعدها على الإنجاب ليخفوا حقيقة أنها أنجبت توأم! كما تقول هيلين أن هناك عدة أحداث غريبة حدثت لها الماضي، مثلا كان يخبرها من حولها أنها تبدو أكبر من عمرها الحالي عندما كانت في المدرسة.

تقدمت أحداث الشقيقتين حتى أصبح هناك احتمال كونهم توأم، فأعادوا إختبار الحمض النووي حتى يروا إن كان هناك إثبات علمي على أنهم توأم. في كتابهم وضحوا أن نتائج الحمض النووي تقول بأنهم توأم بدون أدنى شك. لسوء الحظ أنه لا يوجد إختبار يوضح ما إذا كانا توأم بالفعل، ولكن نتائج التحاليل كانت إيجابية على كل حال.

أحد أهم الأحداث بالنسبة لهيلين أنها علمت الآن أن الأب الذي يعذبها لم يكن أبها الحقيقي. تقول هيلين "لقد كانت صدمة حقيقة، كنت مؤمنة بأنني إبنة لتوم" .. "لقد كان رجل عنيف ويصعب التعامل معه، وتعاملت معي لم يكن مقبول على الإطلاق مهما كانت أسبابها التي كانت تدفعه لفعلها.. لقد قيل لي من قبل "أنه رجل سييء وأنا سعيد أنه لم يكون والدك"، وأعتقد أنني أشعر بذلك أيضا"

في الوقت الحالي، قامت جيني وهيلين بكل مافي وسعهم لمعرفة كل شي عن والدهم الحقيقي، والفريد هاريسون، الذي يقال عنه أنه رجل طيب ولطيف وأن لديه ستة أطفال.

ذهبت هيلين وجيني إلى قبر والدهم الحقيقي حاملين شوقهم وباقة من الورد وكانوا يريدون أن يتركوها على قبره بدون أن يكتبوا أسمائهم عليها لكي لا يراها أحد من عائلته ويستاء، ولكن لم يستطيعوا تحمل المزيد من الكذب والتستر، فتركوا رسالة حب لوادهم على قبره مدونين أسمائهم عليها.

سامحت هيلين أمها على تقصيرها في حقها، وتقول: "ما أعتقد به الآن هو أنني كنت دائماً أفكر (أمي) بذلك الوقت العسير في حياتها وخسارتها المولة التي كان لابد أن تواجهها. أعتقد أنها في كل مرة تنظر إلي ، كانت ترى جيني أيضا. لم تكن تحبني أو حتى تهتم بي وذلك بسبب كل ما كان يجري في حياتها "

الشي الوحيد الذي لم تستطيع الشقيقتين تخيله هو كيف أستطاعت ميرسيا أن تختار أحدهم دون الأخرى وضحت بالإخرى فهبتها لإسرة أخرى. "كلانا أم، ولا نعلم كيف قررت ميرسيا بذلك القرار" كما تقول جيني .."هل وهبتي لعائلة أخرى لأنني ولدت أولاً؟ أو لأنني كنت أكبر، فكانت تعتقد أنني سوف أتصرف بشكل أفضل."

بغض النظر عن كل شيء، تتمنى هيلين وجيني أن سنحت لهم الفرص بأن يخبرا والدتهم ميرسيا أن الأمور أصبحت على مايرام في النهاية. تقول جيني "لقد كنت المحظوظة، لقد هربت" .. "لقد عشت حياة جميلة، مليئة بالسعادة، وفي أواخر عمري، وجدت توأمي هيلين التي تعني لي العالم كله."

بينما تتمنى هيلين لو أن ميرسيا أدركت أن صراحتها قد تحفظ الأم الكثير من الناس. "لقد أخفت كل هذه الأسرار ، ومن أجل ماذا؟" .."لو أنها أخبرتنا بالحقيقة لكانت حياتنا أكثر بساطة."

جوانا مورهد. صحيفة القارديان البريطانية.

ترجمة: ياسر الصاعدي.

<http://www.theguardian.com/lifeandstyle/2013/mar/12/were-we-secret-twins>